سُورَةُ الكَهْفِ

ورد آخر الزمان

تفسير
لطائف الإشارات

الإمام القُشَيري

سُورَةُ الكَهۡفِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١
قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ٢
مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ٤
مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ
أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ٥ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ إِنَّا
جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧

إختصار وإعداد: الفنان قدرى جاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* تفسير لطائف الإشارات / القشيري (ت 465 هـ) مصنف و مدقق

(ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا)

إذ حُمِلَ { ٱلْحَمْدُ } هنا على معنى الشكر فإنزالُ الكتابِ من أَجَلِّ نِعَمِهِ، وكتابُ الحبيب لدى الحبيب أجلُّ مَوْقِعٍ وأشرفُ محلٍّ،

وهو من كمال إنعامه عليه، وإن سمَّاه - عليه السلام - عَبْدَه فهو من جلائل نَعمه عليه لأَنَّ من سمَّاه عَبْدَهَ جَعَلَه من جملة خواصِّه.

وإذا حُمِلَ { ٱلْحَمْدُ } في هذه الآية على معنى المدح كان الأمر فيه بمعنى الثناء عليه - سبحانه، بأنَّه الملِكُ الذي له الأمرُ والنهيُ والحكمُ بما يريد، وأنه أعدَّ الأحكامَ التي في هذا الكتاب للعبيد، وسمَّاه ﷺ عبدَه..

لمَّا كان فانياً عن حظوظه، خالصاً لله بقيامه بحقوقه.

قَيِّماً لِّيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً

قَيِّماً : أي صانه عن التعارض والتناقض، فهو كتابٌ عزيزٌ من ربٍّ عزيز

واليأس الشديد ": مُعَجَّلُه الفراق، ومؤجَّلُه الاحتراق "

ويقال: هو البقاء عن الله تعالى، والابتلاء بغضب الله

ومعنى الآية: لينذرهم ببأس شديد.

(وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً)

والعملُ الصالحُ ما يصلح للقبول، وهو ما يُؤَدَّى على الوجه الذي أُمِرَ به.
ويقال العمل الصالح ما كان بنعت الخلوص، وصاحبُه صادقٌ فيه.

ويقال هو الذي لا يستعجل عليه صاحبه حَظّاً في الدنيا مِنْ أَخذ عِوَضٍ،

أو قَبُولِ جاهٍ، أو انعقادِ رِياسةوما في هذا المعنى.

حصلت البشارةُ بأَنَّ لهم أجراً حسناً،

والأجرُ الحَسَنُ ما لا يجري مع صاحبه استقصاءٌ في العمل.

ويقال الأجر الحَسَنُ ما يزيد على مقدار العمل،

ويقال الأجر الحَسَنُ ما لا يُذَكِّر صاحبَه تقصيرَه، ويستر عنه عيوبَ عمله.

(مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً) * (وَيُنْذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَداً) * مَّا لَهُمْ بِهِ

مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً)

(مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً)

البشارة منه أَنَّ تلك النِّعم على الدوام غير منقطعة،

وأعظم من البشارة بها قوله.

(وَيُنْذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَداً مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ

كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً)

مقالتهُم نتيجةُ جَهْلِهم بوحدانيةِ الله،

ولقد توارثوا ذلك الجهلَ عن أسلافهم.

كُبَرتْ كلمتُهم في الإثم لمَّا خَصَّت في المعنى، ومَنْ نطق بما لم يحصل له به إذنٌ لَحِقَه هذا الوصف ، ومَنْ تكلَّمَ في هذا الشأن قبل أوانه،

فقد دخل في غمار هؤلاء.

{ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفاً }

مِنْ فَرْطِ شفقته - ﷺ - داخَلَه الحزنُ لامتناعهم عن الإيمان، فهوَّن الله - سبحانه - عليه الحالَ، بما يشبه العتابَ في الظاهر؛ كأنه قال له:

لِمَ كل هذا؟ ليس في امتناعهم - في عَدِّنا - أثر، ولاغداً

ولا في الدِّين من ذلك ضرر فلا عليكَ من ذلك.

ويقال أشهده جريانَ التقدير، وعَرَّفَه أنه - وإنْ كان كُفْرُهم منْهِيَّاً عنه

في الشرع - فهو في الحقيقة مُرَادُ الحق.

{ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُم أَحْسَنُ عَمَلاً }

ما على الأرض زينة لها تُدْرَكُ بالأبصار، وممن على الأرض من هو زينة لها يُعْرَفُ بالأسرار وإنَّ قيمةَ الأوطانِ لقُطَّانها، وزينة المساكن في سُكَّانها.

ويقال العُبَّاد بهم زينة الدنيا، وأهلُ المعرفة بهم زينة الجنة.

ويقال الأولياءُ زينةُ الأرض وهم أَمانُ مَنْ في الأرض.

ويقال إذا تلألأت أنوار التوحيد في أسرار الموحدين

أشرقت جميع الآفاق بضيائهم.

قوله جلّ ذكره: (لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُم أَحْسَنُ عَمَلاً)

أحسنهم عملاً :أصدقهم نِيَّة، وأخلصهم طوية.

ويقال أحسنهم عملاً أكثرهم احتساباً؛ إذ لا ثوابَ لمن لا حسبة له،

أعلى من هذا بل وأَوْلى من هذا فأحسنهم عملاً أشدُّهم استصغاراً لفعله، وأكثرهم استحقاراً لطاعته؛ لشدة رؤيته لتقصير فيما يعمله،

ولانتقاصه أفعاله في جنب ما يستوجبه الحقُّ بحقِّ أمره.

ويقال أحسنُ أعمال المرءِ نَظَرُه إلى أعماله بعين الاستحقار والاستصغار، لقول الشاعر:

وأكبرهُ من فِعْله وأعظمُه

تصغيرُه فِعْلَه الذي فَعَله

معناه: أكبرُ مِنْ فعلِه - الذي هو عطاؤه وبَذْلُه - تقليلُه واستصغارُه

لِمَا يُعْطِيه ويجود به.

{ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً }

كَوْنُ ما على الأرض زينةً لها في الحال سُلِبَ قَدْرُه بما أخبر

أنه سيُفْنِيهِ في المآل.!

{ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً }

أزال الأعجوبةَ عن أوصافهم بما أضافه إلى ربِّه بقوله: { مِنْ آيَاتِنَا }؛

فَقَلْبُ العادةِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ غيرُ مُسْتَنْكَرٍ ولا مُبْتَدَعٍ.

ويقال مكثوا في الكهف مدةً فأضافهم إلى مُسْتَقَرِّهم فقال:

{ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ } ، وللنفوس مَحَالٌ، وللقلوب مَقَارٌّ،

وللهمم مَجَال، وحيثما يعتكف يُطْلَبُ أبداً صاحبه.

ويقال الإشارة فيه ألا تَتَعَجَّبَ من قصتهم؛ فحالُكَ أعجبُ في ذهابك إلينا

في شطر من الليل حتى قاب قوسين أو أدنى، وهم قد بقوا في الكهف سنين.

(إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً

وَهَيِّىءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً)

آواهم إلى الكهف بظاهرهم، وفي الباطن فهو مُقِيلُهم في ظِلِّ إقباله وعنايته،
ثم أخذهم عنهم، وقام عنهم

فأجرى عليهم الأحوال وهم غائبون عن شواهدهم.

وأخبر عن ابتداء أمرهم بقوله:

{ رَبَّنَآ آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّىءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً }:

أي أنهم أَخَذُوا في التبرِّي مِنْ حَوْلِهم وقُوَّتِهم، ورجعوا إلى الله بِصِدْقِ
فَاقَتِهم، فاستجاب لهم دعوتَهم، ودفع عنهم ضرورتَهم،

وبَوَّأَهم في كنف الإيواء مقيلاً حسناً.

{ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً }

أخذناهم عن إحساسهم بأنفسهم، واختطفناهم عن شواهدهم

بما استغرقناهم فيه من حقائقِ ما كاشفناهم به من شهود الاحدية،
وأطلعناهم عليه من دوام نعت الصمدية.

{ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُواْ أَمَداً }

أي رددناهم إلى حال صحوهم وأوصاف تمييزهم، وأقمناهم بشواهد التفرقة بعد ما محوناهم عن شواهدهم بما أقمناهم بوصف الجمع.

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى)

(وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِ إِلـٰهاً لَّقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً)

قوله جلّ ذكره: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُواْ بِرَبِّهِمْ)

لمَّا كانوا مأخوذين عنهم تولَّى الحق - سبحانه - أَنْ قصَّ عنهم، وفَرْقٌ بين من كان عن نفسه وأوصافه قاصاً؛ لبقائه في شاهده وكونه غيرَ منتفٍ بجملته وبين من كان موصوفاً بواسطة غيره؛ لفنائه عنه وامتحائه منه وقيام غيره عنه.

(هَـٰؤُلاۤءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً)

لمَّا لم يكن لهم حجة اتضح فيما ادعوه كذبُهم، فمن اكتفى بِنَفْيِ القالة دون ما يشهد لقوله من أدلته فهو معلول في نحلته،

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً ؟ فمن ذَكَرَ في الدِّين قولاً لم يؤيَّد ببرهان عقلي أو نقلي فهو مفترٍ، ومَنْ أظهر مِنْ نَفْسه حالاً لم يوجبه صدق مجاهدته أو منازلته فهو على الله مُفْتَرٍ والذي يصدق في قوله - في هذه الطريقة - فهو الذي يسمع من الحق بسرِّه، ثم ينطق بلفظه.

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَ فَأْوُوا إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقاً

العزلةُ عن غير الله توجِبُ الوصلة بالله بل لا تحصل الوصلةُ بالله إلا بعد العُزْلَةِ عن غير الله ,

***

ويقال لما اعتزلوا ما عُبِدَ من دون الله آواهم الحقُّ إلى كنف رعايته، ومهد لهم مثوىً في كهف عنايته.

ويقال مَنْ تبرَّأ مِنَ اختياره في احتياله، وصَدَقَ رجوعه إلى الله في أحواله، ولم يستَعِنْ - بغير الله - من أشكاله وأمثاله آواه إلى كَنَفِ أفضاله، وكفاه جميعَ أشغاله، وهَّيأ له مَحَلاً يتفيؤ فيه في بَرْدِ ظِلالِه، بكمالِ إقباله.

***

وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذ'لِكَ مِنْ آيَاتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً .

كانوا في مُتَّسَعٍ من الكهف، ولكن كان شعاعُ الشمس لا ينبسط عليهم مع هبوب الرياح عليهم.

ويقال أنوار الشمس تتقاصر وتتصاغر بالإضافة إلى أنوارهم.

إن نورَ الشمس ضياءٌ يستضيءُ به الخَلْقُ، ونور معارفهم أنوار يُعْرَف بها الحق، فهذا نور يظهر في الصورة، وهذا نور يلوح في السريرة

وبنور الشمس يدرك الخلْق وبنورهم كانوا يعرفون الحق.

وفي قوله - عَزَّ اسمه: { ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ ٱللَّهِ } فيه دلالة على أن في الأمر شيئاً بخلاف العادة، فيكون من جملة كرامات الأولياء؛ ويحتمل أن يكون

شعاعُ الشمسِ إذا انتهى إليهم ازورَّ عنهم، ومضى دونَهم

بخلاف ما يقول أصحاب الهبة، ليكونَ فعلاً ناقضاً للعادة

فلا يبعد أن يقال إن نور الشمس يُسْتَهْلَكُ في النور الذي عليهم.

***

(مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً)

فاللَّه يهْدِي قوماً بالأدلةِ والبراهين، وقوماً بكشف اليقين؛ فمعارفُ الأولين قضية الاستدلال، ومعارف الآخرين حقيقة الوصال، فهؤلاء مع برهان، وهؤلاء على بيان كأنهم أصحاب عيان.

(وَمَن يُضْلِلْ): أي مَنْ وَسَمه بِسِمَةِ الحرمان فلا عرفانَ ولا علمَ ولا إيمان.

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱليَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ

وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ

لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً .

هم مسلوبون عنهم، مُخْتَطَفُون منهم، مُستَهلَكون فيما كوشِفوا به

من وجود الحق؛ فظاهرهم - في رأي الخَلْق - أنهم بأنفسهم، وفي التحقيق: القائمُ عنهم غيرُهم وهم محوٌ فيما كوشفوا به من الحقائق.

ثم قال: { وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱليَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ }: وهذا إخبارٌ عن حُسْنِ إيوائه لهم؛ فلا كشفقةِ الأمهات بل أتم، ولا كرحمة الآباء بل أعزُّ وبالله التوفيق.

ويقال إن أهلَ التوحيد صفتهم ما قال الحقُّ - سبحانه - في صفة أصحاب الكهف: { وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ } فَهُمْ بشواهد الفَرْقِ في ظاهرهم، لكنهم بعين الجمع بما كُوشِفوا به في سرائرهم، يُجْرِي عليهم أحوالِهم

وهم غير متكلِّفين، بل هم يثبتون - وهم خمودٌ عما هم به –

أن تصرفاتِهم القائمُ بها عنهم سواهم، وكذلك في نطقهم .

وكما ذَكَرَهُم ذَكَرَ كلبَهم، ومَنْ صَدَقَ في محبة أحدٍ أحبَّ مَنْ انتسب إليه

وما يُنْسَبُ إليه.

***

ويقال كلبٌ خَطَا مع أحبائه خطواتٍ فإلى القيامة يقول الصبيان - بل الحق يقول بقوله العزيز -: { وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ } فهل ترى أنَّ مُسْلِماً يصحب أولياءَه من وقت شبابه إلى وقت مشيبه يردُّه يوم القيامة خائباً؟ إنه لا يفعل ذلك

ويقال في التفاسير إنهم قالوا للراعي الذي تبعهم والكلب معه:

اصرف هذا الكلب عنَّا فقال الراعي: لا يمكنني، فإني أنا ديته.

ويقال أنطق الله سبحانه - الكلبَ فقال لهم: لِمَ تضربونني؟

فقالوا: لِتَنْصَرِفَ عنَّا.

فقال: لا يمكنني أن أنصرف لأنه ربَّاني.

ويقال كلبٌ بَسَطَ يده على وصيد الأولياء فإلى القيامة يقال:

{ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلوَصِيدِ }فهل إذا رَفَعَها مسلمٌ إليه خمسين سنة ترى يردُّها خائبةً؟ هذا لا يكون.

ويقال لما صَحِبهَم الكلبُ لم تضره نجاسةُ صِفتِهِ، ولا خساسةُ قيمته.

ويقال في صفة أصحاب الكهف إن كانوا{ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ } [الكهف: 22]، أو{ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ } [الكهف: 22] فقد قال في صفة هذه الأمة:{ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ } المجادلة: 7

وشتَّان ما هما

***

ويقال كُلٌ يُعامَلُ بما يليق به من حالته ورتبته؛ فالأولياء قال في صفتهم:

{ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ } ، والكلب قال في صفته:

(وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلوَصِيدِ)

ويقال كما كرَّر ذكرَهم، كرر ذِكْرَ كلبِهم .

وجاء في القصة أن الكلبَ لما لم ينصرفْ عنهم قالوا: سبيلنا إذا لم ينصرف عنَّا أَنْ نَحْمِلَه حتى لا يُسْتَدَّلَ علينا بأثر قَدَمِه فحملوه، فكانوا في الابتداء

(بل إياه) وصاروا في الانتهاء مطاياه كذا مَنْ اقتفى أَثَرَ الأحباب.

ويقال في القصة إن الله أنطق الكلب معهم، وبِنُطْقِه رَبَطَ على قلوبهم

بأَنْ أزدادوا يقيناً بسماع نطقه، فقال: لِمَ تضربوني؟ فقالوا: لتنصرف،

فقال: أنتم تخافون بلاءً يصيبكم في المستقبل وأنتم بلائي في الحال.

ثم إنَّ بلاَءَكم الذي تخافون أنْ يصيبكم من الأعداء،

وبلائي منكم وأنتم الأولياء.

ويقال لما لزم الكلبُ محلَّه ولم يجاوزْ حَدَّه فوضع يديه على الوصيد

بقي مع الأولياء كذا أدب الخدمة يوجب بقاءَ الوُصلة.

***

قوله جلّ ذكره: (لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً)

الخطاب له - ﷺ - والمرادُ منه غيره.

ويقال لو اطلعتَ عليهم من حيث أنت لوليت منهم فراراً،

ولو شاهدتَهم من حيث شهود تولِّي الحق لهم لبقيت على حالك .

ويقال لو اطلعتَ عليهم وشاهدْتَهم لَوَلَّيْت منهم فراراً مِنْ أنْ تُرَدَّ

عن عالي منزلتك إلى منزلتهم؛ والغنيُّ إذا رُدَّ إلى منزلة الفقير فَرَّ منه،

ولم تَطِبْ به نَفسُه { وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً } بأن يُسْلَبَ عظيمُ ما هو حالك، وتُقَامَ في مثل حالهم النازلة عن حالك.

ويقال: { لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً } لأنك لا تريد أن تشهد غيرنا.

قوله جلّ ذكره: (وَكَذٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا بَيْنَهُمْ

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَم لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ)

استقلوا مدة لُبْثهم وقد لَبِثُو (طويلاً)، ولكنهم كانوا مأخوذين عنهم،

ولم يكن لهم عِلْمٌ بتفصيل أحوالهم، قال قائلهم:

لست أدري أطال لَيْلِي أم لا؟

كيف يدري بذاك من يتقلَّى؟

لو تَفَرَّغْتُ لاستطالةِ لَيْلِي

ورغيت النجومَ كنتُ مُخِلاَّ

ويقال أيامُ الوصالِ عندهم قليلة - وإنْ كانت طويلة، ولو كان الحال بالضدِّ.. لكان الأمر بالعكس، وأنشدوا:

صَبَاحُكَ سُكْرٌ والمِساءُ خُمار

نَعِمْتَ وأيامُ السرورِ قِصارُ .

***

قوله جلّ ذكره: (يَوْمٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ)

لأنه هو الذي خَصَّكُم بما به أقامكم.

قوله جلّ ذكره: (فَٱبْعَثُواْ أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ)

ما داموا مأخوذين عنهم لم يكن لهم طلبٌ لأكل ولا شربٍ ولا شيء من صفة النَّفْس، فلمَّا رُدُّوا إلى التمييز أخذوا في تدبير الأكل أَوَّلَ ما أحسوا بحالهم،

وفي هذا دلالة على شدة ابتداء الخَلْق بالأكل .

قوله جلّ ذكره: (وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً)

تَوَاصَوْا فيما بينهم بحسن التَّخَلقِ وجميل الترفُّقِ،

أي ليتلطف مع من يشتري منه شيئاً .

ويقال أوصوا مَنْ يشتري لهم الطعامَ أَنْ يأتيهم بألطف شيءٍ وأطيبِه،

ومن كان من أهل المعرفة لا يوافقه الخشن من الملبوس

ولا المبتذل في المطعم من المأكول.

ويقال أهل المجاهدات وأصحاب الرياضات طعامهم الخشن

ولباسهم كذلك والذي بلغ المعرفة لا يوافقه إلا كل لطيف،

ولا يستأنس إلا بكل مليح.

***

{ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذاً أَبَداً }

تواصوا فيما بينهم بكتمان الأسرار عن الأجانب، وأخبر أنهم إن اطلعوا عليهم وعلى أحوالهم ، بالغوا في مخالفتهم إمَّا بالقتل وإما بالضرب..

وبما أمكنهم من وجوه الفعل، ولا يرضون إلا بردِّهم إلى ما منه تخلصوا.

ويقال من شأن الأبرار حفظ الأسرار عن الأغيار .

ويقال مَنْ أظْهَر لأعدائه سِرَّه فقد جَلبَ باختياره ضُرَّه، وفَقَدَ ما سَرَّه.

(وَكَذٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا

إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ

قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً)

جعل أحوالَهم عِبْرةً لِمَنْ جاءَ بَعْدَهم حين كشف لأهل الوقت قصتهم، فعاينهم الناس، وازداد يقين مَنْ كان يؤمن بالله حين شاهدوا بالعيان ما كان نَقْضاً للعادة المستمرة.

***

ثم إن الله تعالى ردَّهم إلى ما كانوا عليه من الحالة، كانوا مأخوذين

عن التمييز، متقلبين في القبضة على ما أراده الحق، مستودعين

فيما كوشفوا، مستهلكين عنهم في وجود الحق – سبحانه.

(سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَآءً ظَاهِراً وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَداً)

أخبر أنَّ علومَ الناسِ متقاصرةٌ عن عددهم؛ فالأحوالُ التي لا يطلع عليها إلا الله في أسرارهم وقلوبهم متى يكون للخَلْق عليها إشرافٌ؟ أشكل عليهم عددهم، وعددهم يُعْلَم بالضرورة، وهم لا يُدْرَكُون بالمشاهدة

***

ويقال سَعِدَ الكلبُ حيث كَرَّرَ الحقُّ - سبحانه - ذِكْرَهم وذكَرَ الكلبَ معهم على وجه التكرار، ولمَّا ذَكَرَهم عَدَّ الكلب في جملتهم.

***

قوله : (قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ)

لما كانوا من أوليائه فلا يعلمهم إلا خواصُّ عباده، ومَنْ كان قريباً في الحالِ منهم؛ فهم في كتم الغَيْرَة وإيواء الستر لا يَطَّلِعُ الأجانبُ عليهم؛ ولا يعلمهم إلا قليلٌ؛ لأنَّ الحق - سبحانه يستر أولياءه عن الأجانب، فلا يعلمهم إلا أهل الحقيقة، فالأجانب لا يعرفون الأقارب، ولا تشكل أحوال الأقارب على الأقارب كذلك قال شيوخ هذه الطائفة: الصوفية أهل بيتٍ واحدٍ لا يدخل فيهم غيرهم.

قوله سبحانه: (وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَداً)

كما لا يعرفهم من كان بمعزلٍ عن حالتهم، ولا يهتدي إلى أحكامهم

من لا يعرفهم فلا يصحُّ استفتاءُ مَنْ غاب علمهم عنه في حالهم

ومَنْ لم يكن قلبُه محلاً لمحبة الأحباب لا يكون لسانُه مقراً لذكرهم.

(وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً إِلاَّ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ)

(وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَداً)

إذا كانت الحوادثُ صادرةً عن مشيئة الله

فَمَنْ عَرَفَ الله لم يَعُدّ من نفسه ما علم أنه لا يتم إلا بالله.

ويقال مَنْ عَرَفَ الله سقط اختيارُه عند مشيئته، واندرجت أحكامه

في شهوده لحكم الله.

ويقال المؤمن يعزم على اعتناق الطاعةُ في مستقبله بقلبه،

لكنه يتبرأ عن حَوْلِهِ وقُوَّتِهِ بسِرِّه، والشرعُ يستدعي منه نهوض قلبه في طاعته، والحقُّ يقف سِرَّه عند شهود ما منه لمحبوبه تحت جريان قسمته.

قوله:(وَٱذْكُر رَّبَّكَ):

إنْ طَرأَتْ عليك طوارقُ النسيان - لا يتعهدك –

فجرِّدْ بذكرك قَصْدَكَ عن أوطان غفلتك.

ويقال { وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ }: في الحقيقة نَفْسُك تمنعك من استغراقك في شهود ذكرك

ويقال واذكر ربك إذا نسيت ذكرك لربِّك: فإن العبدَ إذا كان ملاحظاً لذكره كان ذلك آفة في ذكره.

ويقال واذكر ربك إذا نسيت حَظَّك منه.

ويقال واذكر ربَّك إذا نسيت غيرَ ربِّك.

{ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعاً }

كانوا مأخوذين عنهم في إحساسهم بأنفسهم لم يقفوا على تطاول مدتهم، وفي المثل: أيام السرور قصار والدهور في السرور شهور،

والشهور في المحن دهور،

وفي معناه

أَعُدُّ الليالي ليلةً بعد ليلةٍ

وقد كنت قبلاً لا أعد اللياليا

(قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً)

مَنْ لم يعد أيامَه لاشتغاله بالله أحصى اللَّهُ أنفاسَه التي الله، قال تعالى:

{ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً } الجن: 28

(وَٱتْلُ مَآ أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ)

وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً

أي لا تغيير لِحُكْمِه؛ فَمَنْ أقصاه فلا قبولَ له، ومَنْ أدناه فلا وصولَ له،

ومَنْ قَبِلَة فلا رَدَّ له، ومَنْ قَرَّ به فلا صَدَّ له.

تَسَلَّ - حينما تتنوع عليك الأحوال - بما نُطْلِعُكَ عليه من الأخبار؛

وإنَّ كُتُبَ الأحبابِ فيها شفاءٌ لأنها خطابُ الأحباب للأحباب.

(وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ

وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا

وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)

قال: { وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ } ولم يقل: " قلبك " لأن قلبه كان مع الحقِّ،

فأمره بصحبته جَهْرَاً بجهر، واستخلص قلبه لنفسه سِرَّاً بِسرٍّ.

ويقال { يُرِيدُونَ وَجْهَهُ }: معناها مريدين وجهه أي في معنى الحال،

وذلك يشير إلى دوام دُعائِهم ربهم بالغداة والعشيّ وكون الإرادة على الدوام

ويقال: { يُرِيدُونَ وَجْهَهُ }: فآويناهم في دنياهم بعظائمنا،

وفي عقباهم بكرائمنا.

ويقال: { يُرِيدُونَ وَجْهَهُ }: فكشف قناعَهم، وأظهر صفَتهم،

وشَهَرَهم بعدما كان قد سَتَرَهم،

***

وأنشدوا

وكشفنا لكَ القناعَ وقلنا

نعم وهتكنا لك المستورا

ويقال لما زالت التُّهمُ سَلِمَتْ لهم هذه الإرادة،

وتحرروا عن إرادةِ كلِّ مخلوقٍ وعن محبةِ كل مخلوق

ويقال لمَّا تقاصَرَ لسانُهِم عن السؤال هذه الجملة مراعاةً منهم لهيبة الرسول ﷺ، وحُرْمَةِ باب الحقِّ - سبحانه - أمَرَه بقوله:

{ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ } وبقوله:

{ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا }

أي لا ترفع بصَرَك عنهم، ولا تُقلِعْ عنهم نظرك.

ويقال لما نظروا بقلوبِهم إلى الله أَمَرَ رسولَه - عليه السلام –

بألا يرفعَ بَصَرَه عنهم، وهذا جزاء في العاجل.

والإشارة فيه

كأنه قال: جعلنا نظرك اليوم إليهم ذريعةً لهم إلينا، وخَلَفَاً عما يفوتهم اليوم من نظرهم إلينا، فلا تَقْطَعْ اليومَ عنهم نَظَرَكَ فإنا لا نمنع غداً نظرهم عنَّا.

قوله (وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)

هم الذين سألوا منه - ﷺ - أن يُخْلِيَ لهم مجلسَه من الفقراء،

وأن يطردهَم يوم حضورهم من مجلسه ﷺ وعلى آله.

ومعنى قوله: { أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا }: أي شغلناهم بما لا يعنيهم.

ويقالك: { أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا } أي شغلناهم

حتى اشتغلوا بالنعمة عن شهود المِنْعِم.

ويقال هم الذين طوَّح قلوبَهم في التفرقة، فهم في الخواطر الرَّدِيّة مُثْبَتُون، وعن شهود مولاهم محجوبون.

ويقال أغفلنا عن ذكرنا الذين ابْتُلُوا بنسيان الحقيقة لا يتأسَّفُون

على ما مُنُوا به ولا على ما فَاتَهُم.

ويقال الغفلةُ تزجيةُ الوقتِ في غيرِ قضاءِ فَرْضٍ أو أداء نَفْلٍ.

(وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقاً)

قُلْ يا محمد:

ما يأتيكم من ربِّكم فهو حقٌّ، وقوله صِدْقٌ

{ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ } هذا غاية التهديد، أي إنْ آمنتم ففوائدُ إيمانكم عليكم مقصورة، وإنْ أَبَيْتُم فَعذَابُ الجحود موقوفٌ عليكم، والحقُّ - سبحانه - عزيز لا يعود إليه بإيمان الكافة -إذا وَحَّدُوا - زَيْنٌ،

ولا مِنْ كُفْرِ الجميع - إنْ جحدوا – شَيْنٌ.

(إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقاً)

العقوبة الكبرى لهم أن يشغلهم بالألم حتى لا يتفرغوا عنه إلى الحسرة

على ما فاتهم من الحقِّ، ولو علموا ذلك لَعَلَّه كان يرحمهم والحقُّ

- سبحانه - أكرم من أن يعذِّبَ أحداً يُتَّهَمُ لأَجْلِه.

ويقال لو علموا مَنْ الذي يقول: { وَسَآءَتْ مُرْتَفَقاً }

لعلَه كان لهم تَسَلَ ساعةً، ولكنهم لا يعرفون قَدْرَ مَنْ يقول هذا،

وإلا فهذا شِبْهُ مرتبةٍ لهم، والعبارة عن هذا تدق.

(إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً
أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا

مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ

مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى ٱلأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً)

أهلُ الجنة طابتْ لهم حدائقُها، وأهلُ النار أَحَاط بهم سُرادِقُها

والحقُّ - سبحانه - مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يعودَ إليه من تعذيبِ هؤلاء عائدة

ولا من تنعيم هؤلاء فائدةٌ جَلَّتْ الأحديةُ، وتَقَدَّسَتْ الصمدية.

ومَنْ وقَعَتْ عليه غَبَرَةٌ في طريقنا لم تَقَعَ عليه قَتَرَةُ فراقنا،

ومَنْ خطا خطوةً إلينا وَجَدَ حظوةً لدينا، ومَنْ نَقَلَ قَدَمَه نحونا غفرنا له

ما قَدَّمَه، ومَنْ رَفَعَ إلينا يَدَاً أَجْزَلْنا له رَغداً، ومَنْ التجأ إلى سُدَّةِ كَرَمِنا آويناه
في ظِلِّ نِعَمِنا، ومن شكا فينا غليلاً مَهَّدْنا له - في دار فضلنا – مقيلاً .

(أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) : العملُ أحسنُه ما كان مضبوطاً بشرائط الإخلاص

ويقال: { مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً } بأن غاب عن رؤية إحسانه .

ويقال مَنْ جَرَّدّ قَصْدَه عن كلِّ حظٍّ ونصيب .

ويقال الإحسان في العمل ألا ترى قضاء حاجتك إلا في فَضلِه،إذا أخلصتَ

في تَوسلِكَ إليه بفضله، وتوصُّلِكَ إلى ما مَوَّلَكَ من طَوْلِهِ بِتَبرِّيكَ

عن حَوْلِكَ وقُوَّتِك استوجبتَ حُسْنَ إقباله، وجزيل نواله.

قوله { أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلأَنْهَارُ }

أولئك هم أصحابُ الجنان، في رَغَدِ العيش وسعادة الجَد وكمال الرِّفد، يلبسون حُلَلَ الوُصلة، ويُتَوَّجُون بتاج القرُبة، ويُحْمَلون على المباسط، ويَتَّكِئون على الأرائك، ويشمون رياحينَ الأُنس، ويقيمون في مجال الزُّلفة، ويُسْقَوْنَ شرابَ المحبة، ويأخذُون بِيَدِ الزلفة ما يتحفهم الحقُّ به من غير واسطة، ويسقيهم شراباً طهوراً يُطَهِّر قلوبَهم عن محبة كلِّ مخلوقٍ.

(نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً)

نِعْم الثوابُ ثوابُهم، ونعم الربُّ ربُّهم، ونعم الدارُ دارُهم،

ونعم الجارُ جارُهم، ونعم الحالُ حالُهم.

وَٱضْرِبْ لهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ

وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً } * { كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا

وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَراً } * { وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَاْ أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً } * { وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِ أَبَداً } * { وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَائِمَةً

وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً } * { قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ

وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً } * { لَّـٰكِنَّاْ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً } *

{ وَلَوْلآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً } * { فعسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً } * { أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً)

أخبر أنه خَلَقَ رجلين جعل لهما جنتين على الوصف الذي ذَكَرَه، فَشَكَرَ أحدُهما لخالقِه وكَفَرَ الآخرُ برازقه، فأصبح الكافرُ وجنَّتُه أصابتها جائحةٌ، وندم على ما ضَيَّعَه من الشكر، وتوجَّه عليه اللومُ.

وفي الإشارة

يخلق عَبْدين يُطَيِّبُ لهما الوقت، ويُمَهِّدُ لهما بساط اللطف، ويمكِّن لهما من البَسْط فيستقيم.

أَحَدهُما في الترقي إلى النهاية

من مقامات البداية بحُسْن المنازلة وصدق المعاملة،

فتميز له المجاهدةُ ثمراتِ أحسن الأخلاق فيعالجها بحسنِ الاستقامة،

ثم يتحقق بخصائص الأحوال الصافية، ثم يُخْتَطَفُ عنها ،

بما يُكاشفُ به من حقائق التوحيد، ويصبح مُنْتَفًى عن جملته باستهلاكه

في وجود ما بان له من الحقائق.

والثاني لا يُقَدِّرُ قَدْرَ ما أَهَّلَ له من حُسْن البداية فيرجِعُ إلى مألوفاتِه، فينتكِسُ أمرُه، بانحطاطه إلى ذميم عاداته، فيرتدُّ عن سلوك الإحسان

ويتردَّى في ظلْمَهِ الغفلة؛ فيصيرُ وقتُه ليلاً مظلماً، ويتطوحُ في أودية التفرقة، ويُوسَمُ الطرد، ويُسْقى شرابَ الإهانة، وينخرطُ في سلك الهَجْرِ

وذلك جزاءُ مَنْ لم يَرَهُم الحقُّ لو صلته أَهْلاً،
ولم يجعل لولائهم في التحقيق والقبول أَصْلاً .

***

تبدَّلَتْ وتبدلنا يا حسرةً لِمَنْ
ابتغى عوضاً لسلمى، فلم يَجِدِ

(وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَآ أَنْفَقَ فِيهَا
وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً *
وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً)

إذا ظَهَرَ خسرانُ مَنْ آثر حظَّه على حقِّ الله، قَرَعَ بابَ ندامته، ثم لا ينفعه ولو قرع باب كَرمِه في الدنيا - حين وقَعتْ له الفترةُ - لأشكاه عند ضرورته، وأنجاه من ورطته ولكنه رُبِط بالخذلان، ولُبِّسَ عليه الأمرُ بحُكْمِ الاستدراج.

قوله: { وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ }: مَنْ اشْتَهَرَ أمرُهُ بِسُخْطِ السلطانِ عليه لم ينظر إليه أحدٌ من الجُنْدِ والرعية، كذلك مَنْ وَسمَه الحقُّ بكِيِّ الهَجْرِ لم يَرْثِ له مَلَكٌ ولا نبيٌّ، ولم يَحْمِه صديقٌ ولا وليٌّ.

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ ٱلرِّياحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً

مَنْ وَطَّنَ النَّفْسَ على الدنيا وبهجتها غَرتْه بأمانيها، وخدعته بالأطماع فيها
ثم إنها تُخْفى الصَّابَ في شرابها، والحنظل في عَسَلها، والسرابَ في مآربها؛
تَعِدُ ولا تفي بِعِدَاتِها، وتُوفِي آفاتُها على خيراتها نِعمُها مشوبةً بِنِقَمِها،

وبؤسُها مصحوبٌ بمأفوسها، وبلاؤها في ضمن عطائها المغرورُ مَنْ اغترَّ بها، والمغبونُ مَنْ انخدع فيها؟

(ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ

خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً)

مَنْ اعتضد بعتاده، واغترَّ بأولاده، ونَسِيَ مولاه في أوان غَفَلاَتِهِ

خَسِرَ في حاله، ونَدِمّ على ما فاته في مآله.

ويقال زينةُ أهل الغفلة في الدنيا بالمال والبنين، وزينة أهل الوصلة

بالأعمال واليقين فهؤلاء رُتَبُهم لظواهرهم وهؤلاء زينتهم لعبوديته، وافتخارهم بمعرفة ربوبيته.

ويقال ما كان للنَّفْس فيه حُظٌّ فهو من زينة الحياة الدنيا،

ويدخل في ذلك الجاهُ وقبول المدح، وكذلك تدخل فيه

جميع المألوفات والمعهودات على اختلافها وتفاوتها.

ويقال ما كان للإنسان فيه شِرْبٌ ونصيبٌ فهو معلول

إن شئت في عاجله وإن شئت في آجله.

قوله: (وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً)

وهي الأعمال التي بشواهد الإخلاص والصدق .

ويقال { وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ }: ما كان خالصاً لله تعالى غيرَ مُشوب بطمعٍ، ولا مصحوبٍ بِغَرَضٍ.

ويقال { وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ }: ما يلوح في السرائر

من تحلية العبد بالنعوت، ويفوح نَشْرُه في سماءِ الملكوت.

ويقال هي التي سبقت من الغيب لهم بالقربة وشريف الزلفة

ويقال هي ضياءُ شموسِ التوحيد المستكِنِّ في السرائر

مما لا يتعرَّضُ لكسوف الحجبة.

(وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً)

كما تُسيَّرُ جبالُ الأرض يوم القيامة و بموت الأبدال

الذين يديم بهم الحقُّ ، فهؤلاء في الحقيقة - أوتادُ العالَم .

قوله: { فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً }:

الإشارة

منه أنه ما من أحد إلا ويُسْقَى كأسَ المنية، ولا يغادر الحقُّ أحداً اليوم

على البسيطة إلا وينخرط عن نظامه، وإنَّ شَرَفَهم في الدرجات

في تَوَقِّيهم عن مساكنة الدنيا.

(وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفَّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِداً)

يقيم كُلَّ واحدٍ يومَ العَرْضِ في شاهد مخصوص، ويُلْبِسُ كُلاً ما يُؤَهِّله له؛ فَمِنْ لباسِ تقوى، ومن قميصِ هوى، ومن صِدَارِ وَجْدٍ، ومن صُدْرَةِ محبة، ومن رداءِ شوقٍ، ومن حُلَّة وُصْلَة.

ويقال يجرِّدهم عن كلِ صفة إلا ما عليه نظرهم يوم القيامة،

وينادي المنادي على أجسادهم: هذا الذي أَتَى وَوَجَدَ، وهذا الذي أَبَى وَجَحَدَ

وهذا الذي خالَفَ فأَصَرَّ، وهذا الذي أنعمنا عليه فَشَكَرَ،

وهذا الذي أحْسَنَّا إليه فَذَكَرَ وهذا الذي أسقيناه شرابَنا، ورزقناه محابَّنا، وشَوَّقناه إلى لقائنا، ولَقَّيْنَاه خصائص رِعَايِتنا.

وهذا الذي وَسَمْناه بحجبتنا، وحرمناه وجُوْهَ قربتنا وألبسناه نطاق فراقنا، ومنعناه، توفيق وفاقنا، وهذا، وهذا

***

واخجلتي من وقوفي وَسْطَ دارِهِمُ

وقال لي مُغْضَباً: مَنْ أنت يا رجلُ؟

قوله جلّ ذكره: (لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِداً)

جئتمونا بلا شفيعٍ ولا ناصر، ولا مُعينِ ولا مُظاهِر

قوم يُقال لهم: سلامٌ عليكم كيف أنتم؟ وكيف وَجَدْتُم مقيلَكم؟

وكم إلى لقائنا اشتقتم.

وقوم يُقال لهم: ما صنعتُم، وما ضَيَّعْتُم؟ ما قدَّمتُم، وما أخرتم؟

ما أعلنتم، وما أسررتُم؟

قُلْ لِي بألسنةِ التنفُّسِ

كيف أنت وكيف حالك؟

ويقال يجيب بعضهم عند السؤال فيُفْصِحون عن مكنون قلوبهم، ويشرحون ما هم به من أحوالٍ مع محبوبهم وأخرون تملكهم الحيرة وتُسْكِتُهم الدهشة، فلا لهم بيان، ولا ينطق عنهم لسان

وآخرون كما قيل

قالت سكينةُ مَنْ هذا فقلتُ لها:

أنا الذي أنتِ من أعدائه زَعمُوا

(وَوُضِعَ ٱلْكِتَابُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ

يٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا

وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً)

إنما يصيبهم ما كُتِبَ في الكتاب الأول وهو المحفوظ،

لا ما في الكتاب الذي هو كتاب أعمالهم نَسَخَه ما في اللوح المحفوظ .

ويقال إنْ عامَلَ عبداً بما في الكتاب الذي أثبته المَلَكَ عليه فكثيرٌ من عباده يعاملهم بما في كتاب المَلِكِ - سبحانه، وفرقٌ بين من يُعَامَل بما في كتاب الحقِّ من الرحمة والشفقة وبين مَنْ يحاسبه بما كَتَبَ عليه المَلَكُ من الزَّلة

ويقال إذا حسابهم في القيامة يتصور لهم كأنهم في الحال، ما فارقوا الزَّلَة، وإن كانت مباشرةُ الزَّلةِ قد مَضَت عليها سنون كثيرة.

(وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً)

***

يملك الحزنُ قلبَه لأنه يعلم أنه يرى في عمله سيئةً فهو في موضع الخجل لتقصيره وإنْ رأى حسنةً فهو في موضع الخجل أيضاً لِقِلَّةِ توقيره؛

فَخَجْلَةُ أَهلِ الصدقِ عند شهود حسناتهم توفي وتزيد على خجلة

أهل الغفلة إذا عثروا على زَلاَّتهم.

ويقال أصحابُ الطاعةِ إذا وجدوا ما قدَّموا من العبادات فمآلهم السرور والبهجة وحياة القلب والراحة، وأمَّا أصحاب المخالفات

فإنما يجدون فيما قدَّموا مجاوزة الحدِّ ونقضَ العهْدِ،

وما في هذا الباب من الزَّلة وسوء القصد.

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاۤئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لأَدَمَ فَسَجَدُوۤاْ إِلاَّ إِبْلِيسَ

كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي

وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً)

أظْهَرَ للملائكة شَظِيَّة مما استخلص به آدم فسجدوا بتيسيرٍ من الله - سبحانه، وسَكَّرَ بَصَرَ اللعين فما شهد منه غير الْعَيْنِ ففسق عن أمر ربه،

ولا صدق في قوله: { أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ } لمَا فَسَقَ عن الأمر،

ولكن أَدركته الشقَّاوة الأصيلة فلم تنفعه الوسيلة بالحيلة.

(أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً)

***

في الآية إشارة إلى أَنَّ مَنْ يُفْرِدْه بالولاية فلا يقتفي غَيْرَه ولا يخافُ غيرَه.

(مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ
وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُداً)

أكذب المنجمين والأطباء الذين يتكلمون في الهيئات والطبائع بقوله:

{ مَّا أَشَهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنفُسِهِمْ }: وبَيَّنَ أن ما يقولونه من إيجاب الطبائع لهذه الكائنات لا أصلَ له في التحقيق.

(وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُداً): أي لم أجعل للذين يُضِلُّون الناسَ عن دينهم بِشُبَهِهِمْ في القول بالطبائع حجةً،
ولم أعطهم لتصحيح ما يقولونه برهاناً .

ويقال إذا تقاصرت علومُ الخَلق عن العلم بأنفسهم فكيف تحيط علومُهم بحقائق الصمدية، واستحقاقِه لنعوته إلا بمقدار ما يخصُّهم به
من التعريف على ما يليق برتبة كل أحد بما جعله له أهلاً.

ويقال أخبر أَنَّ علومَهم تتقاصر عن الإحاطة بجميع أوصافهم وجميع أحوالهم وعن كُلِّ ما في الكون، ولا سبيلَ لهم إلى ذلك؛

ولا حاجةَ بهم إلى الوقوفَ على ما قَصَرَتْ علومُهم عنه، إذ لا يتعلَّق بذلك شيء من الأمور الدينية و الإشارة في هذا أن يَصْرِفُوا عنايتَهم إلى طلب العلم بالله وبصفاته وبأحكامه، فإنه لا بُدَّ لهم - بحكم الديانة - من التحقق بها؛

إذ الواجبُ على العابد معرفة معبوده بما يزيل التردد عن قلبه
في تفاصيل مسائل الصفات والأحكام.

(وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآئِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً)

عِلمَ الحقُّ - سبحانه - أَنَّ الأصنامَ لا تغني ولا تنفع ولا تضر،
ولكن يعرِّفهم في العاقبة بما يُصَيِّر معارفَهم ضرورية حَسْماً لأوهام القوم؛
حيث توهموا أنّ عبادتهم للأصنام فيها نوع تقرب إلى الله على وجه التعظيم
له كما قالوا:{ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰ } الزمر: 3

فإذا تحققوا بذلك صدقوا في الندم، وكان استيلاء الحسرة عليهم،
وذلك من أشد العقوبات لهم.

{ وَرَأَى ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوۤاْ أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفاً }

إذا صارت الأوهامُ منقطعة، والمعارفُ ضروريةً، والنارُ مُعَايَنَةً استيقنوا
أنهم واقعون في النار، فلا يُسْمَعُ لهم عُذْرٌ، ولا تنفع له حيلةٌ،
ولا تُقْبَلُ فيهم شفاعة، ولا يؤخذ منهم فداء ولا عدل لقد استمكنت
الخيبةُ، وغَلَبَ اليأسُ، وحَصَلَ القنوط، وهذا هو العذاب الأكبر.

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ
وَكَانَ ٱلإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً)

أوضح للكافة الحججَ، ولكن لَبَّسَ على قوم النهج فوقعوا في العِوَج.

(وَكَانَ ٱلإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً) الجَدَلُ في الله محمود مع أعدائه،

والجدل مع الله شِرْكٌ لأنه صَرْفٌ إلى مخالفةٍ تُوهِمُ أن أحداً يعارض التقدير، وتجويزُ ذلك انسلاخ عن الدِّين ومن أمارات السعادة للمؤمن

فَتْحُ بابِ العملِ عليه، وإغلاقُ بابِ الجدل دونه.

(وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلاً)

لا عُذرَ لهم إذا لجأوا إلى ما تعاطوه من العصيان وترْكِ المبادرة إلى المأمور، ولا توفيقَ يساعدهم فيخرجهم عن حوار الداعي إلى عزم الفعل، فَهُمْ –

وإن لم يكونوا بنعت الاستطاعة على ما ليسوا يفعلونه - ليسوا عاجزين

عن ذلك؛ ولكنهم بحيث لو أن العبدَ منهم أراد ما أُمِرَ به لَتَأَبَّى منه ذلك، وتعذَّر عليه؛ ففي الحال ليس بقادرٍ على ما ليس يفعله ولا هو عاجزٌ عنه، وهذا يسميه القوم حال التخلية وهي واسطة بين القدرة والعجز.

(وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَـٰتِي وَمَآ أُنْذِرُواْ هُزُواً)

أرسل الرسل - عليهم السلام - تترى، وأَيَّدَهم بالحجج والبراهين، وأمرهم بالإنذار والتخويف، والتشريف في عين التكليف، وتضمين ذلك بالتحقيق، ولكن سَعِدَ قومٌ باتباعهم، وشَقِيَ آخرون بخلافهم.

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَـٰتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ

(إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ

وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَىٰ ٱلْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوٓاْ إِذاً أَبَداً)

لا أحدَ أظلمُ مِمَّنْ ذُكرِّ ووُعِظَ بما لوَّح له من الآيات، وبما شاهده وعرفه

من أمرٍ أُصْلِحَ أو شُغْلٍ كُفِيَ أو دعاءٍ أُجِيب له، أو سوءِ أدبٍ حصل منه، فأُدِّبَ بما يكون تنبيهاً له، أو حصلت منه طاعة وكوفئ في العاجل

إمَّا بمعنى وَجَدَه في قلبه من بَسْطٍ أو حلاوةٍ أو أُنْسٍ، وإما بكفاية شُغْلٍ

أو إصلاح أمرٍ ثم إذا استقبله أمرٌ نَسِيَ ما عُومل به، أو أعرض عن تَذَكُّرِه، ونَسِيَ ما قَدَّمَتْ يداه من خيره وشرِّه، فوجدَ في الوقت موجبه

ومَنْ كانت هذه صِفَتُه جعل على قلبه ستراً وغفلة وقسوة

حتى تنقطع عنه بركاتُ ما وُهِبَه .

ويقال مَنْ أظلم ممن يستقبله أمرٌ مجازاةً لما أسلفه من تَرْكِ أَرَبِه فَيَتَّهِمُ رَبَّه، ويشكو مِما يلاقيه، وَيْنسَى حُرْمة الذي بسببه أصابه ما أصابه؟

وكما قيل :

وعاجزُ الرأيِ مِضياعٌ لِفُرصته

حتى إذا فاتَ أمرٌ عَاتَبَ القَدَرَا

(وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ

بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِ مَوْئِلاً)

ٱلْغَفُورُ لأنه ذو الرحمة، ورحمته الأزلية أوجَبَتْ المغفرةَ لهم

ويقال { ٱلْغَفُورُ }: للعاصين من عباده، و { ذُو ٱلرَّحْمَةِ } بجميعهم فَيُصلح أحوالَ كافتهم.

(لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ): لعجَّل لهم العذابَ؛ أي عَامَلَهم بما استوجبوه من عصيانهم، فعجَّلَ لهم العقوبة، لكنه يؤخرها لمقتضى حكمته، ثم في العاقبة يفعل ما يفعل على قضية إرادته وحكمه.

{ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً }

لمَّا لم يشكروا النِّعم ولم يصبروا في المحن عَجَّلنا لهم العقوبة،

ويقال لمَّا غَفَلُوا عن شهود التقدير، وحُرِمُوا رَوْح الرضا وَكَلْناهم إلى ظُلُماتِ تدبيرهم، فطاحوا في أودية غفلاتهم.

(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لاۤ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً) *
(فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَباً)

لما صَحَّتْ صحبة يوشع مع موسى عليهما السلام استحقَّ اسم الفتوة،

ولذا قال: { وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ } وهو إسم كرامة لا إسم علامة.

جعل دخول السمك الماء علامة لوجود الخضر هنالك، ثم أدخل النسيان عليهما ليكون أبلغَ في الآية، وأَبْعَدَ من اختيار البَشَر.

{ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَباً }

كان موسى في هذا السَّفرِ مُتَحَمِّلاً، فقد كان سَفَر تأديبٍ واحتمالِ مشقةٍ، لأنه ذهب لاستكثار العلم وحالُ طلب العلم حالُ تأديبٍ ووقتُ تْحمُّلٍ للمشقة، ولهذا لَحِقَهُ الجوعُ، فقال: (لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَباً)

وحين صام في مدة انتظار سماع الكلام من الله صبر ثلاثين يوماً، ولم يلحقه الجوعُ ولا المشقةُ، لأن ذهابَه في هذا السفر كان إلى الله، فكان محمولاً .

(قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ

وَمَآ أَنْسَانِيهُ إِلاَّ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَباً) *

(قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصاً)

طال عليهما السفر لأنهما احتاجا إلى الانصرافِ إلى مكانهما، ثم قال يوشع:

{ وَمَآ أَنْسَانِيهُ إِلاَّ ٱلشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ }: الله - سبحانه - أَدْخَلَ عليه النسيانَ ليكونَ الصَّيْدُ من تكلفِه، ثم قال: { ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ }: يعني دخول السمك الماء وكان مشوياً؛ فصار ذلك معجزة له،

فلما انتهيا إلى الموضع الذي دخل السمك فيه الماء لَقِيَا الخضر.

{ فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَآ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً }

إذا سَمَّى الله إنساناً بأنه عَبْدُه جَعَلَه من جملة الخواص؛

فإذا قال: " عبدي " جعله من خاص الخواص.

(آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا): أي صار مرحوماً من قِبَلِنا بتلك الرحمة

التي خصصناه بها من عندنا، فيكون الخضر بتلك الرحمة مرحوماً،

ويكون بها راحماً على عبادنا.

(وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً) : قيل العلم من لدن الله

ما يتحصل بطريق الإلهام دون التكلف بالتّطَلُّب.

ويقال ما يُعرَّف به الحقُّ - سبحانه - الخواصَ من عباده.

ويقال ما يعرَّف به الحق أولياءَه فيما فيه صلاح عباده.

وقيل هو ما لا يعود منه نَفْعٌ إلى صاحبه، بل يكون نفعُه لعباده مِمَّا فيه حقُّ اللهِ – سبحانه.

ويقال هو ما لا يَجِد صاحبُه سبيلاً إلى جحده، وكان دليلاً على صحة ما يجده قطعاً؛ فلو سألتَه عن برهانه لم يجد عليه دليلاً؛ فأقوى العلوم أبعدها من الدليل.

***

(قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً)

تلَطَّفَ في الخطاب حيث سَلَكَ طريق الاستئذان، ثم صَرَّح بمقصوده من الصحبة بقوله: (عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً)

ويقال إن الذي خُصَّ به الخضِرُ من العلم لم يكن تَعَلَمّه من أستاذ ولا من شخص، فما لم يكن بتعليم أحد إياه متى كان يعلمه غيره؟

***

(قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً) * (وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً) * (قَالَ سَتَجِدُنِيۤ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِراً وَلاَ أَعْصِي لَكَ أمْراً)

سؤال بذلك العطف وجوابٌ بهذا العطف ثم نداركَ قلبَه

بقوله: { وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً }؟،

فأجابه موسى: { قَالَ سَتَجِدُنِيٓ } وعد من نفس موسى بشيئين: الصبر،

وبأن لا يعصيَه فيما يأمر به، فأمَّا الصبر فَقَرَنَه بالاستنشاء بمشيئة الله
فقال: { سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِراً } فصبر حتى وُجِدَ صابراً،

فلم يقبض على يدي الخضر فيما كان منه من الفعل،

والثاني قوله: { وَلاَ أَعْصِي لَكَ أمْراً }: أطلقه ولم يُقْرِنْه بالاستنشاء،

فما استنشأ لأَجْله لم يخالفه فيه، وما أطلقه وقع فيه الخُلْفُ،

(قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْني عَن شَيءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً)

فإنه ليس للمريد أن يقول " لا " لشيخه، ولا التلميذ لأستاذه،

ولا العاميّ للعالِم المفتي فيما يفتي ويحكم.

(فَٱنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا

قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً)

لما ركبوا الفُلْكَ خرقها وكان ذلك إبقاءً على صاحبها لئلا يرغبَ في السفينةِ
المخروقةِ المَلِكُ الطامعُ في السفن.

وقوله: { لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا } أي لتؤديَ عاقبةُ هذا الأمر إلى غَرَقِ أهلها؛

لأنه علم أنه لم يكن قَصَدَ إغراقَ أهلِ السفينة

{ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً }

أي أنت تنظر إلى هذا من حيث العلم، وإنّا نُجْزِيه من حيث الحُكْم.

{ قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً }

طالبَه بما هو شرط العلم حيث قال: { لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ }؛

لأن الناسيَ لا يدخل تحت التكليف، وأَيَّدَ ذلك بما قَرَنَ به قوله:

{ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً } فالمُتَمَكِّنُ من حقه التكليف,

ومن لا يصحُّ منه الفعلُ والتَّرْكُ لا يتوجه، والناس من جملتهم

(فَٱنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلاَماً فَقَتَلَهُ

قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً)

كان بِخُلُقِ العلم واجباً على موسى - عليه السلام - قَصْرُه حيث يرى

في الظاهر ظُلْماً, ولكن فيما عرف من حال الخضر من حقه التوقف

ريثما يعلم أنه أَلَمَّ بمحظورٍ أو مُباحٍ، ففي ذلك الوقت كان قلب العادة.

(قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ
بَعْدَهَا فَلاَ تُصَـٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً)

كرَّر قوله: { إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ } لأنه واقف بشرط العلم،

وأمَّا في محل الكشف فَشَرَطَ عليه موسى عليه السلام فقال:

(قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً)

بلغ عصيانه ثلاثاً؛ والثلاثةُ آخِرُ حَدِّ آخِرُ حَدِّ القِلَّة، وأوَّلُ حَدِّ الكثرة،

فلم يَجِدْ المُسامَحَةَ بعد ذلك.

(فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا

فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً *

قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً)

كان واجباً في ملتهم على أهل القرية إطعامهما، ولم يعلم موسى

أنه لا جدوى من النكيرعليهم؛ ولو كان أَغْضَى على ذلك منهم لكان أحسن.

فلمَّا أقام الخضر جدارهم ولم يطلب عليه أجراً لم يقل موسى أنك قُمْتَ
بمحظور، ولكنه قال له: { لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً } أي إن

لم تأخذ بسببك فلو أخذت بسببنا، لكان أَخْذُكَ خيراً لنا من تركك ذلك،

ولئن وَجَبَ حقُّهم فَلِمَ أخللتَ بحقنا؟

ويقال إنَّ سَفَرَه ذلك كان سفرَ تأديب فَرُدَّ إلى تَحَمُّلِ المشقة،

وإلاَّ فهو حين سقى لبنات شعيب فإنَّ ما أصابه من التعبِ وما كان فيه

من الجوع كان أكثر، ولكنه كان في ذلك الوقت محمولاً

وفي هذا الوقت مُتَحَمِّلاً فلما قال موسى هذا قال له الخضر:

(قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً)

أي بعد هذا فلا صحبة بيننا

ويقال قال الخضر إِنَّك نبيٌّ وإنما أؤاخذك بما قُلْتَ، فأنت شَرَطْتَ

هذا الشرط؛ وقلتَ: إِنْ سألتُك عن شيء بعدها فلا تصاحبني،

وإنما أعاملك بقولك.

ويقال لمّا لم يصبر موسى معه في تَرْكِ السؤال لم يصبر الخضرُ أيضاً

معه في إدامة الصحبة فاختار الفراق.

***

ويقال ما دام موسى عليه السلام سأله لأجل الغير- في أمر السفينة التي كانت للمساكين، وقَتْلِ النَّفْس بغير حق - لم يفارقه الخضر، فلمَّا صار في الثالثة إلى القول فيما كان فيه حَظٌ لنفسه من طلب الطعام ابْتُلِيَ بالفرقة،

فقال الخضر: (هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ)

ويقال كما أن موسى - عليه السلام - كان يحب صحبة الخضر لما له في ذلك من غرض الاستزاده من العلم فإن الخضر كان يحب

تَرْكَ صحبة موسى عليه السلام إيثاراً للخلوة بالله عن المخلوقين.

(أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَردتُّ أَنْ أَعِيبَهَا

وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً)

لما فارق الخضرُ موسى عليه السلام لم يُرِدْ أَنْ يبقى في قلب موسى

شِبْهُ اعتراضٍ؛ فأَزالَ عن قلبه ذلك بما أوضح له من الحال،

وكشف له أنَّ السِّرَّ في قصده من خَرْقِ السفينة سلامتُها وبقاؤُها لأهلها حيث لن يطمعَ فيها المَلِكُ الغاصبُ، فبَقَاءُ السفينةِ لأهلها - وهي معيبةٌ - كان خيراً لهم من سلامتها وهي مغصوبة.

(وَأَمَّا ٱلْغُلاَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً } *

فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً)

بيَّن له أَنَّ قَتْلَ الغلامِ لمَّا سَبَقَ به العلمُ مضى من الله الحُكْمُ

أنَّ في بقائه فتنةً لوالديه، وفي إبدال الخَلفِ عنه سعادةً لهما.

(وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا

وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً

مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً)

أَما تسوية الجدار فلاستبقاءِ كنز الغلامين وترك طلب الرفق من الخَلْق.

(حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ

لَّمْ نَجْعَل لَّهُمْ مِّن دُونِهَا سِتْراً) * (كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً)

أقوامٌ هم أهل مطلع الشمس الغالب عليهم طولُ نهارهم، وآخرون كانوا

من أهل مغرب الشمس الغالب عليهم استتار شمسهم كذلك الناس

في طلوع شمس التوحيد: منهم الغالب عليهم طلوع شموسهم،

والحضور نعتهم والشهود وصفهم والتوحيد حقّهم،

وآخرون لهم من شموس التوحيد النصيب الأقل والقسط الأرذل.

(حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً
* (قَالُواْ يٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ
خَرْجاً عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً) * (قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ
فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً)

أي ما كانوا يهتدون إلا إلى لسانِ أنفسِهم، وما كانوا يفقهون فقهَ غيرِهم
فلجؤوا إلى عَبَرَاتهم في شرح قصتهم، ورفعوا إليه - في باب ياجوج وماجوج -
مظلمتهم، وضمنوا له خراجاً يدفعونه إليه، فأجابهم إلى سؤلهم،

وحقَّق لهم بُغْيَتَهم، ولم يأخذ منهم ما ضمنوا له من الجباية،

لمَّا رأى أنَّ من الواجبِ عليه حق الحماية على حسب المُكْنَة.

{ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُواْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً }

نظروا بأعين رؤوسهم لأنهم فقدوا نظر القلب

من حيث الاعتبار والاستدلال، ولم يكن لهم سمع الإجابة لِمَا فقدوا

من التوفيق، فتوجه عليهم التكليف ولم يساعدهم التعريف.

قوله: { وَكَانُواْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً }: لأنهم فقدوا من قِبَلِه - سبحانه - الإسماع؛ فلم يستطيعوا لهم القبول.

(أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوۤاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيۤ أَوْلِيَآءَ

إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً)

أي توهموا أنه ينفعهم ما فعلوه حسب ظنهم، واعتقدوا في أصنامهم استحقاقَ التعظيم، وكانوا يقولون:{ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىۤ } [الزمر: 3]،{ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً } [الكهف: 104]

وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون.

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً) * (ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)

ضلَّ سعيُهم لأنهم عَمِلُوا لغيرِ اللَّهِ وما كان لغيرِ الله فلا ينفع.

ويقال الذين ضلَّ سعيُهم هم الذين قَرَنُوا أعمالَهم بالرياء،

ووصفوا أحوالَهم بالإعجاب، وأبطلوا إحسانهم بالملاحظات أو بالمَنِّ.

(أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ

فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَزْناً)

عموا عن شهود الحقيقة فبقوا في ظلمة الجحد، فتفرَّقَتْ بهم الأوهام والظنون، ولم يكونوا على بصيرة، ولم تستقر قلوبُهم على عقيدة مقطوعٍ بها؛ فليس لهم في الآخرة وزنٌ ولا خَطَرٌ، اليومَ هم كالأَنْعام، وغداً واقعون ساقطون الأقدام.

{ ذَلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوۤاْ آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً }

هم اليومَ في عقوبة الجحد، وغداً في عقوبه الردِّ اليوم هم في ذُلِّ الفراق، وغداً في أليمِ الاحتراق.

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً }

لهم جنات مُعَجَّلة سراً، ولهم جنان مؤجلة جهراً.

اليوم جنان الوصل وغداً جنان الفضل.

اليوم جنان العرفان وغداً جنان الرضوان.

{ خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً }

عرَّفنا - سبحانه - أن ما يخوِّله لهم غداً يكون على الدوام، فهم لا ينفكون عن أفضالهم، ولا يخرجون عن أحوالهم؛ فهم أبداً في الجنة، ولا إخراج لهم منها وأبداً لهم الرؤية، ولا حجاب لهم عنها.

(قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً)

أي لا تُعَدُّ معاني كلمات الله لأنه لا نهاية لها؛ فإِنَّ متعلقاتِ الصفةِ القديمةِ لا نهاية لها؛ كمعلوماتِ الحق - سبحانه - ومقدوراته وسائر متعلقات صفاته والذي هو مخلوقٌ لا يَسْتَوْفِي ما هو غير مُتَنَاهٍ - وإنْ كَثُرَ ذلك.

(قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ

فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَاً)

أَخْبِرْ أَنَّكَ لهم من حيث الصورة والجنسية مُشاكِلٌ، والفَرْقُ بينكَ وبينهم تخصيصُ الله - سبحانه - إياكَ بالرسالة، وتَرْكِه إياهم في الجهالة.

ويقال: قل اختصاصي بما لي من (الاصطفاء)،

وإن كنا - أنا وأنتم - في الصورة أكفاء.

(فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَاً)

حَمْلُ الرجاءِ في هذه الآية على خوف العقوبة ورجاء المثوبة حَسَنٌ،

ولكنَّ تَرْكَ هذا على ظاهره أَوْلَى؛ فالمؤمنون قاطبةً يرجون لقاءَ الله .

والعارف بالله - سبحانه - يرجو لقاءَ الله والنظرَ إليه

والعمل الصالح الذي بوجوده يصل إلى لقائه

هو صَبْرُه على لواعجِ اشتياقه، وأَنْ يُخْلِصَ في عمله.

***

(وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَاً): أي لا يُلاحِظُ عَمَلَه، ولا يستكثر طاعته، ويتبرأ من حَوْلِه وقُوَّتِه.

***

ويقال العمل الصالح هنا اعتقاد وجود الصراط ورؤيته وانتظار وقته.

تم بحمد الله

راجى فضلة

الفنان:قدرى جاد

2025/1/20

الهرم على بن أبى طالب